الدرس الثالث :

الشهر العظيم المبارك

روى ابن خزيمة في صحيحه ، عن سلمان ﷺ ، قال : خطبنا رسول الله ﷺ ، في آخر يوم من شعبان قال : « **يا أيها الناس ، قد أظلَّكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعًا .**

مَن تقرَّب فيه بخَصْلة من الخير كان كمَن أدَّى فريضة فيما سواه ، ومَن أدَّى فيه فريضة كان كمَن أدَّى سبعين فريضة فيما سواه .

وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزداد في رزق المؤمن فيه .

مَن فطَّر فيه صائمًا ، كان مغفرةً لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره ، من غير أن ينقص من أجره شيء » .

قالوا : يا رسول الله ، ليس كلُّنا يجد ما يُفطِّر الصائم .

فقال رسول الله ﷺ : « **يعطي الله هذا الثواب ، مَن فطَّر صائمًا على تمرة ، أو على شربة ماء ، أو على مَذْقَة لبن .**

وهو شهرٌ أوَّله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار .

مَن خفَّف على مَمْلوكه فيه غَفَر الله له ، وأعتقه من النار .

فاستكثروا فيه أربع خصال : خَصْلَتَين تُرضون بهما ربكم ، وخَصْلَتَين لا غَناء بكم عنهما :

فأما الخَصلتان اللتان ترضون بهما ربكم : فشهادة أن لا إله إلا الله ، وتستغفرونه .

وأما الخَصلتان اللتان لا غَناء بكم عنهما : فتسألون الله الجنة ، وتعوذون به من النار .

OBEIKAN.COM

ومَن سقى صائمًا سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة»[1].

أراد النبي ﷺ ، بهذا الخطاب الجامع وبهذا الحديث المُشبع في آخر يوم من شعبان : أن يهيئ أنفس أصحابه لاستقبال رمضان ، هذا الشهر العظيم المبارك كما وصفه ، بعزائم صادقة ، وهِمم عالية ، ونيَّات صالحة ، ورغبة فيما عند الله عز وجل .

من خصائص رمضان :

فبيَّن لهم فضل هذا الشهر ، وبيَّن لهم خصائصه ومزاياه ، فكان من أول هذه الخصائص أنه : « شهر فيه ليلة خير من ألف شهر » ، تلك هي ليلة القدر التي أنزل الله فيها هذا القرآن ، وجعل الله الطاعة فيها خيرًا من الطاعة في ألف شهر .

رمضان شهر الصيام والقيام :

ومن خصائص هذا الشهر التي ذكرها النبي ﷺ أنه : شهر الصيام والقيام ، « جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعًا » ، فمن صامه إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه ، ومن قام ليله إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه .

ومعنى صيام الإيمان والاحتساب : أنه لم يصُم لمجرَّد متابعة العادة أو يفعل ما يفعل الناس ، وإنما يصوم يقينًا بما عند الله ، وتصديقًا بما جاء من عند الله ، ورغبة في مثوبة الله ، وطلبًا للأجر من عند الله ، هذا معنى الإيمان والاحتساب .

فهو يصوم نهار رمضان إيمانًا واحتسابًا ، ويقوم ليل رمضان إيمانًا واحتسابًا ، وأقل ما يجزئ في القيام أن يُصلِّي التراويح . . . صلاة المؤمنين المحتسبين ، لا نقرًا كنقر الديكة أو كنقر الغراب . . . فإنما كتب الله الفلاح للمؤمنين الخاشعين : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ (المؤمنون: ١، ٢) .

---

(١) رواه ابن خزيمة (١٨٨٧)، وقال : إن صحَّ الخبر ، والبيهقي في الشعب (٣٦٠٨) ، كلاهما في الصيام ، وقال الألباني في السلسة الضعيفة : منكر (٨٧١).

OBEIKAN.COM

مضاعفة الحسنات :

ثم بيَّن حديث النبي ﷺ فضيلة من فضائل هذا الشهر ، وهو أنه : شهر مضاعفة الحسنات ، « مَن تقرَّب فيه بخصلة من الخير ـ تطوعًا ونافلة ـ كان كمَن أدَّى فريضة فيما سواه ، ومن أدَّى فريضة فيه كان كمَن أدَّى سبعين فريضة فيما سواه » .

وهذا يُبيِّن لنا أن الفريضة بسبعين نافلة ، فالنسبة بين الفريضة والنافلة ، كالنسبة بين الواحد والسبعين .

ولهذا ، كان السلف يقولون : إن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة . وجاء في الحديث القدسي : « وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُه عليه »[1] .

أداء الفرائض أولاً . . . ومن أدَّى فريضة في هذا الشهر كان كمَن أدَّى سبعين فريضة فيما سواه ، ولهذا كان يَتَحرَّى بعض الصالحين أن تكون زكاته في رمضان ، لتكون له المضاعفة المباركة من الله عز وجل .

شهر الصبر :

ثم هو « شهر الصبر »، لأن المسلم يتعلم فيه الصبر الجميل،يَدَع طعامه وشرابه، وشهوته ولذته وزوجته ، من أجل الله عز وجل ، كما جاء في الحديث القدسي ، عن ربنا عز وجل : « الصوم لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي »[2] .

يصبر عن هذه اللذائذ والشهوات ، لا لشيء إلا لينال ثواب الله ، فهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر:١٠) ، ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ (الإنسان:١٢)، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد:٢٤). وقد وصَّى النبيُّ ﷺ بعض الصحابة ، فقال له :« صم شهر الصبر ، وثلاثة أيام من كل شهر »[3] .

---

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢) ، والبيهقي في الكبرى كتاب الشهادات (٢١٩/١٠) ، وابن حبان في البر والإحسان (٣٤٧) ، عن أبي هريرة .

(٢) سبق تخريجه صـ ١٦ .

(٣) رواه أحمد ، وقال مخرِّجوه : حسن لغيره ، وهذا إسناد ضعيف لجهالة مجيبة ، وأبو داود (٢٤٣٠) ، وابن ماجه (١٧٤١)، والبيهقي في الشعب (٢٤٦٣)، ثلاثتهم في الصيام ، عن أبي مجيبة الباهلى .

OBEIKAN.COM

شهر المواساة :

وهو «شهر المواساة» ، أي شهر الإحسان ، ومدِّ يد المعاونة والتراحم ، إلى كل مَن يستحق المعاونة ، من ضعيف أو فقير ، فهذا هو دليل على أن الصوم قد أثمر ، وآتى أُكله . . . فمن ثمار الصوم أو من حكمته : أن يشعر الإنسان بنعمة الله تعالى عليه ، نعمة الشِّبَع والرِّيِّ ، فالإنسان لا يحسُّ بها فعلاً إلا إذا حُرمها ، وبضدها تتميز الأشياء .

وبفقد النعم يشعر الإنسان بقيمتها .

فمن هنا ، إذا جاع وأحسَّ لذعة الجوع ، وأدرك حرارة العطش ، هنا يحسُّ نعمة الله عليه ، ويحسُّ بشيء آخر ، يُحسُّ بآلام الجائعين والظمأى المحرومين ، فيمدُّ يده إليهم ، مُسعفًا ومُعينًا ومُساعدًا .

ومن هنا كان على الصائم أن يبحث عن الفقراء ليُفطِّرهم ، فينال هذا الأجر العظيم ، الذي قاله النبي ﷺ في هذا الحديث : «مَن فطَّر فيه صائمًا كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجر الصائم من غير أن ينقص من أجره شيء» .

وليس هذا لمَن أطعم الصائم حتى يشبع ، فإنه إذا لم يجد ما يُطعمه حتى يُشبعه ، فليُفطِّره ولو على تمرة أو مَذقة لبن أو شربة ماء ؛ فإن الله لا يحرمه المثوبة ولا يحرمه الأجر . وكذلك مَن سقى صائمًا سقاه الله من حوض الرسول ﷺ ، شربة لا يظمأ بعدها أبدا حتى يدخله الجنة .

ومن علامة المواساة في هذا الشهر : أن يُخفِّف إنسان عن مملوكه ، عن خادمه ، عن الأجير الذي يعمل عنده ، يُخفِّف عنه ، لعلَّ الله يغفر له ويرحمه ، ويعتقه من النار . ولهذا تخفف الحكومات والشركات في البلاد الإسلامية ساعات العمل على موظيفها في هذا الشهر الكريم .

شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار :

«وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار».

ففي أول يوم من هذا الشهر تنزل رحمة الله ، حين تُفتَّح أبواب الرحمة وأبواب الجنة ، وتُغلَّق أبواب النار ، وتُصفَّد الشياطين ، وتُسلسل المَرَدة فلا يخلصون إلى المسلم بمثل ما كانوا يخلصون إليه قبل رمضان . . . تضعُف قواهم عن الوسوسة ،

وعن الإيعاز بالشر ، فهو شهر خير كله ، «أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة» ، حيث يغفر الله فيه لمَن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ، ولله عتقاء كلَّ ليلة حتى إذا كان في آخر ليلة أعتق بقدر ما مضى .

الاستكثار من خصال الخير :

ومن هنا يوصي النبي ﷺ ، الصائمين من أمته : أن يستكثروا في هذا الشهر من أربع خصال : خَصلتان لإرضاء الله عز وجل ، وهما شهادة أن لا إله إلا الله ، والاستغفار . وكلنا في حاجة إلى الاستغفار ، حتى النبيون كانوا يستغفرون ربهم : إبراهيم يقول : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ (إبراهيم:٤١)، ونوح يقول : ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ (نوح:٢٨)، وكان النبي ﷺ ، يستغفر ربه في اليوم سبعين مرة أو مائة مرة[1]. وروى عنه من صيغ الاستغفار ما لم يرو عن نبى آخر .

والخصلتان اللتان لا غَناء عنهما هما : سؤال الجنة ، والاستعاذة من النار .

ومن منا لا يحتاج إلى الجنة ، ولا يحتاج إلى الهرب من النار؟! ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (آل عمران:١٨٥).

ومن هنا كان النبي ﷺ يقول : «اللهم إني أسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول أو عمل»[2].

فاستكثروا من هذه الخصال الأربع ـ أيها المسلمون ـ عسى الله أن يدخلنا الجنة ، وأن يزحزحنا عن النار ، وأن يجعلنا من الفائزين ، ويكتبنا من المقبولين .

* * *

---

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٧) ، وأحمد (٧٧٩٣) ، عن أبي هريرة ، ونصه : «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

(٢) جزء من حديث رواه أحمد (٢٥٠١٩) ، وقال محققوه : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح ، غير جبر بن حبيب فمن رجال ابن ماجه وروى له البخاري في (الأدب المفرد) وهو ثقة ، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٤٦) ، والطيالسي (١٥٦٩) ، وابن أبي شيبة في الدعاء (٢٩٩٥٧) ، وأبو يعلى (٤٤٧٣) ، وابن حبان في الرقائق (٨٦٩) ، وقال الأرناؤوط : رجاله ثقات ، والحاكم في الصلاة (٥٢٢/١) وصحح إسناده ، عن عائشة ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣١٠٢) .